**صفة استواء الله**

***بحث فى : توحيد الصفات***

*إعداد /* أيمن محمد أبوبكر

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

*ayman.abobakr@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : صفة استواء الله**

**الكلمات الافتتاحيه : استواء، صفه، الاعراف**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة صفة استواء الله**

* ***. موضوع المقالة***

وقد ورد ذكر هذه الصفة في القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية، وأما في صيغة استواء فقد ذُكرت هذه الصفة في سبع آيات على النحو التالي على ترتيب السور:

الأولى: آية سورة الأعراف: {ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ} [الأعراف: 54].

الثانية: آية سورة يونس {ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ} [يونس: 3].

ثالثًا: آية سورة الرعد {ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [الرعد: 2].

رابعًا: آية سورة طه {ﭵ} [طه: 1]، {ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ ﮊ ﮋ ﮌ} [طه :1-5].

خامسًا: آية سورة الفرقان {ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ} [الفرقان: 58، 59].

سادسًا: آية سورة السجدة {ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ} [السجدة: 4].

سابعًا: آية سورة الحديد {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ} [الحديد: 4].

هذه الآيات الكريمة، وفي معناها عدة نصوص من الآيات والأحاديث الصحيحة كلها تدل على علو الله تعالى على خلقه كما يليق به، وأما هذه الآيات السبع التي تنصُّ على أن الله تعالى استوى على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض استواء يليق به، ولا نعلم منه إلا المعنى العام المفهوم من الوضع. إذا هنا صفتان:

أولًا: صفة الاستواء على العرش: وهي صفة فعلية خبرية كما دلت عليه الآيات السابقة.

ثانيًا: صفة العلو: وهي صفة ذاتية لازمة للذات، بمعنى أنه تعالى لم يزل في علوه، وهي في الوقت نفسه عقلية وسمعية أي: هي ثابتة بالعقل والفطرة والسمع، بل السمع جاء مؤكدًا بما آمن به العباد بفِطَرِهِم وبعقولهم، ومن أن الله يُدعى من فوق، وترفع إليه أكفُّ الضراعة، وقلوب العباد مشدودة إلى فوق، ولو في حال وضعهم جباههم على الأرض ساجدين لربهم الأعلى الذي يراهم من فوقهم، ويجيب دعوتهم، وهم ساجدون له سبحانه.

وهذا الاعتقاد ضروري لا يستطيع أي إنسان دفعه عن نفسه. ومن الآيات التي تدل على علو الله على خلاقه علاوة على الآيات السبع التي ذكرناها التي تنص على استواء الله على عرشه، كما يليق به قوله تعالى: {ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ} [النحل: 50].

قد جاءت الفوقية في هذه الآية مقرونة بحرف من، وهي معينة للفوقية بالذات، وهو معنى معروف عند أهل اللغة بخلاف قوله تعالى: {ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ}، وهى محتملة كما لا يخفى.

أولًا: قوله تعالى {ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ} [المعارج: 4].

ثانيًا: {ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ} [النساء: 158].

ثالثًا: {ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} [آل عمران: 55].

رابعًا: {ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ} [فاطر: 10].

خامسًا: {ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ} [الملك: 16].

وبعد: طائفة من آيات الكتاب المبين، وفي معناها آيات أخرى عديدة اقتصرنا على هذا المقدار؛ خشية الإطالة، وكلها تدل دلالة واضحة على علوِّ الله تعالى على خلقه، وأنه مستوٍ على عرشه كما يليق به، ونضيف إليها بعض الأحاديث الواردة في هذا المعنى، ونقتصر على ما صح منها فقط، ففيها الكفاية مع الآيات السابقة للدلالة على المقصود، وهي كالآتي:

أولًا: قوله : ((إن الله لما قضى الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي سبقت غضبي)) وفي رواية ((غلبت غضبي)).

ثانيًا: قول أم المؤمنين زينب بن جحش < وهي تعتزُّ وتفتخر على الأمهات زوجات النبي -رضي الله عنهن- إذ تقول: ((زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات))، استدلَّ بقول أم المؤمنين زينب <؛ لأنها قالت ذلك اعتقادًا منها بأن الله فوق خلقه، وهو اعتقاد كل صاحب فطرة سليمة، وليس هو في كل مكان كما تزعم بعض الجهمية، وأتباعهم، وقد كان ذلك في زمن نزول الوحي، فهو إذًا اعتقاد فطري أثبته الشرع ولله الحمد والمنة،. وهو أخيرًا يصور لنا فقه السلف في هذا الباب، وهم يفهمون معاني النصوص على ظواهرها مع التنزيه بمعناها الصحيح، وهو إثبات لا يتضمن التشبيه.

ثالثًا: قوله  عند تفسيره قوله تعالى: {ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ} [الحديد: 3] أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، وقد قال أهل العلم: المراد بالظهور هنا العلو، ومنه قوله تعالى: {ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ} [الكهف: 97].

أي: يعلوه، وقالوا: فهذه الأسماء الأربعة المتقابلة اسمان منهما لأزلية الرب ، وأبديته، وأسماء لعلوه وقربه، فهو سبحانه قريب في علوه كما يليق به، وعليٌّ في قربه.

رابعًا: إشارته  إليه تعالى بأصبعه في حجة الوداع، وهو أعلم بربه سبحانه، وفي ذلك اليوم العظيم، وفي المكان المقدس العظيم يرفع النبي  إصبعه الكريمة إلى السماء يرفعها لإلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلًا ((اللهم أشهد))، ونحن نشهد أنه  بلغ البلاغ المبين، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وعرفهم بربهم الأعلى. وهذه مقتطفات من حديث جابر بن عبد الله الطويل الذي شرح فيه حجة الوداع شرحًا كاملًا، ووافيًا، رواه مسلم، وبعض أهل السنن.

وقد خاطب النبي  أصحابه في هذه الخطبة المشار إليها قائلًا ((إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلغت، وأديت، ونصحت)) أعظم بها من شهادة لأعظم مشهود له. وبعدُ فلا يخفى خطأ قول الذي يقول: لا تجوز الإشارة الحسية إلى السماء، بل ربما قال: إن من اعتقد أن الله في السماء كفر، وإلا فهو فاسق، وما أشدُّ خطأ قول الذين يزعمون أن الذي يشير بإصبعه إلى السماء عند قراءة قوله: {ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ} [فاطر: 10]، أو قوله تعالى: {ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [الملك: 16] تُقطع أصبعه، وربما نسبوا هذا القول إلى بعض الأئمة كالإمام مالك، والإمام أحمد -رحمهما الله- والنسبة غير صحيحة، بل نسبة باطلة وغير لائقة.

وحديث جابر الذي تقدَّم فيه التصريح بأن النبي  أشار إلى السماء إشارة حسية، وهو يقول لربه سبحانه الذي يشير إليه: ((اللهم اشهد)) وهو يرد هذا الزعم، والحديث مخرج في (صحيح مسلم) كما تقدَّم، ومتلقى بالقبول، فكيف يُعتذر لهؤلاء إذًا، في نظري خير ما يعتذر به لأمثال هؤلاء هو الجهالة، وعدم الاطلاع على السنة.

خامسًا: سؤال الجارية بلفظ ((أين الله)) في حديث صحيح عند مسلم، وهي قصة معروفة لجارية معاوية بنت الحكم السلمي حيث قال النبي  للجارية: ((أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة)). فهو لفظ سأل به رسول الله  الجارية التي يريد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة، وهو لا يعلم هل هي مؤمنة أم لا، فوجه لها الرسول  سؤالين فقط، اختبارًا لإيمانها ولما عرف عتقها.

السؤال الأول: ((أين الله؟)) الجواب: ((في السماء)). السؤال الثاني: ((من أنا؟)) الجواب: ((أنت رسول الله))، النتيجة ((أعتقها فإنها مؤمنة)) أي: باقية على إيمانها الفطري الذي لم تلوثه الآراء الفاسدة، فليحذر الذين يحرمون استخدام هذه النقطة في حق الله؛ جهلًا منهم بأن الرسول استخدمها كما رأيت. قوله : ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)).

سادسًا: قوله : (( ألا تأمنوني، وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً)). والآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين في هذا الباب أكثر من أن تحصى، وبعد هذه أنواع الأدلة الثلاثة التي صنفناها على الوجه التالي:

1. آيات من الكتاب المبين اخترنا منها نحو ثلاث عشرة آية أحاديث صحاح اخترنا منها جملة.

وكلام أهل العلم من التابعين، وتابعيهم أشرنا إلى موضعها من كتب السنة، ولعل قائلًا يقول: ما هو الموجب لذكر الآثار بعد الاستدلال بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

الجواب: ذكر الآثار بعد النصوص يفيد أمرين مهمين:

الأمر الأول: يفيد أن النصوص المذكورة لم تُنسخ، بل هي محكمة باقية كما جاءت؛ إذ تُعتبر هذه الآثار تفسيرًا وبيانًا للنصوص.

الأمر الثاني: تحديد مفهوم السلف، وأنهم كانوا يفهمون من هذه النصوص كتابًا وسنة ما تدل عليه بوضعها وبظاهرها، ولم يؤولوها، ويخرجوا بها عن ظاهرها كما يزعم الخلف، والله أعلم.

إن هذه الأنواع الثلاثة من الأدلة قليل من كثير من الأدلة الدالة على علو الله تعالى على خلقه، واستوائه على عرشه على ما يليق به تعالى، إذًا إن صفة العلو، أو الفوقية صفة كمال ثابتة بوابل من أدلة الكتاب والسنة، ودرج على إثباتها على ظاهرها جميع الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، وليس فيها نقص، ولا تستلزم نقصًا، ولا توجب محظورًا، ولا تخالف كتابًا ولا سنة بل توافقهما كما رأيتْ، وقد عُقد عليها إجماع المسلمين الأولين كما علمت، وهم القوم الذين يحتج بإجماعهم؛ لأنهم خير هذه الأمة ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)).

وإذا كان الأمر كذلك، فما هي شُبهة الأشاعرة، والحالة ما ذكر. خلاصة شبهتهم أنهم تصوَّروا خطأ أن النصوص التي نطقت بأن الله في السماء تدل بظاهرها على أنه تعالى مظروف في جوف السماء، فشبهوه بمخلوق داخل مخلوق آخر، كما فهموا خطأ أيضًا من قوله تعالى: {ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ} [طه: 5]، وما في معناه من النصوص أنه تعالى جالس على العرش، وأنه محتاج إليه فشبهوه بإنسان جالس على سريره محتاج إليه، فأرادوا أن يفروا من هذا التشبيه الذي وقعوا فيه؛ لسوء فهمهم، فوقعوا في التعطيل.

وأما النصوص فلا تدل على ما لا يليق بالله تعالى دائمًا، وحاشاه. فأمرهم يتردد إذا بين التشبيه والتعطيل، ولو وقفوا حيث وقف السلف من قبلهم، وهو الموقف الذي اختار الله للإمام أبي الحسن الأشعري في آخر أطواره، نعم، لو وقفوا حيث وقف القوم فسلموا لله ولرسوله؛ لما وقعوا فيما وقعوا فيه من الاضطراب في العقيدة وعدم اليقين فيما يعتقدون نحو ربهم وخالقهم، وعدم اليقين فيما يعتقد العبد نحو ربه أمر له خطورته في أي جزئية فيما يجب إثباته لله ، أو نفيه عنه، ثم إنهم اختلفوا بعد ما نفوا صفة العلو والاستواء اختلافًا خطيرًا؛ حيث زعم بعضهم بأنه  في كل مكان بذاته، بينما يزعم الآخرون بأنه تعالى ليس فوق العرش، ولا تحت العرش، ولا يمينه، ولا يساره، ونص كلام بعضهم، هكذا، فليس الله عن يمين العرش، ولا عن شماله، ولا أمامه، ولا خلفه، ولا فوقه، ولا تحته. فليحذر كل الحذر مما يعتقده العامة من أن الله تعالى فوق العالم، ثم استدرك قائلًا، "لكن الصحيح أن معتقد الجهة لا يكفر".

قال الحافظ ابن القيم: إن الأحاديث الصحيحة التي وردت في إثبات استوائه تعالى بلغت خمسين حديثًا، ثم ذكر بعدها أقوال عدد كبير من الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة، وغيرهم في إثبات الاستواء، وله -رحمه الله- كلام طويل، ونفيس في هذه الصفة، وغيرها من صفات الأفعال التي أنكرتها الأشاعرة في كثير من كتبه القيمة، وبعدُ: فإنني لعلى يقين لا يخالطه شك في أن كل من ينفي علو الله تعالى بلسانه تقليدًا، أو مسايرة لجمهور أهل الكلام، فإن ضميره يُكذبه من داخله، وهو متكلف يهرف بما لا يعرف، وأن قلبه يلتفت إلى فوق عندما يشرع في الدعاء والتضرع إلى الله قبل أن يرفع يديه إلى السماء، وهو يعلم ذلك من نفسه، ولكن التقليد، وتقديس الآراء والاعتقاد في الشيوخ ومسايرة الجمهور.

كل ذلك حَالَ دون اتباع الحق الذي نطق به الكتاب والسنة، ودلت عليه الفطرة، وأجمع عليه المسلمون الأولون من الصحابة والتابعين، وسبق أن ذكرنا قول الإمام الأوزاعي، وهذا قول الإمام الأوزاعي وهو يخبر ما كان يقوله أتباع التابعين ويعتقدونه؛ إذ يقول: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن ما وردت به السنة من الصفات".

نقل هذا التصريح غير واحد من أهل العلم مثل الذهبي والبيهقي، وأخيرًا الإمام ابن تيمية في (الحموية الكبرى)، وهذا التصريح كما ترى إجماع التابعين، وهو مبني على إجماع الصحابة المستند إلى صريح الكتاب وصحيح السنة، وهو أقوى إجماع عُرف فيما أعلم، وقد ذكر الأوزاعي هذا الإجماع للرد على عقيدة الجهمية التي أخذت تظهر في عصر تابع التابعين؛ ليبين للناس أن ما يدعو إليه جهم، وأتباعه مخالف لإجماع الصحابة والتابعين، وأئمة تابع التابعين.

وبعدُ: فإن صفة استواء الله على عرشه وصفة الكلام، وموضوع إثبات رؤية المؤمنين ليوم القيامة، هذه المسائل التي كثر فيها اضطراب الأشاعرة، وتناقضهم، ولذلك كثر حديث الأئمة وكلامهم فيها، ومناقشتهم للأشاعرة بأساليب مختلفة، وجمعوا فيما ألفوا من الكتب في الرد عليهم أدلة عقلية ونقلية.

فهذا الحافظ ابن القيم يُناقش الأشاعرة، ويبطل دعواهم بأن معنى استوى في الآيات التي سبق أن سقناها بمعنى استولى، أو مجاز عن الملك والسلطان يبطل هذه الدعوة باثنين وأربعين وجهًا، ويثبت أن الفعل استوى في مثل سياق الآيات السبع المذكورة لا يكون إلا بمعنى علا، أو ارتفع، هذا ما يدل عليه اللفظ بالوضع، ويجب أن ينتهي إلى هنا علم العباد.

وأما ما زاد على هذا القدر من محاولة إدراك حقيقة الصفة، أو اللجوء للتأويل والخروج باللفظ عن ظاهره، أو دعوى التفويض والإعراض عن المعنى الظاهر للفظ، فكل ذلك تكلف نُهينا عنه، أو قول على الله بغير علم، وهو من جملة ما حرم الله على عباده حيث يقول تعالى: {ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ} [البقرة: 169]. ويقول: {ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ} [الإسراء: 36]، والله المستعان.

**المراجع والمصادر:**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**